

# شبهات حول الحجاب: الحجاب شريعة رجعية

1 ج

الكاتب: سامي عامري



## الشبهة الأولى: الحجاب، شريعة رجعية

كثيراً ما طرق آذان المسلمين قول صارخ منتشر، ودعوى فجحة مغرورة أنَّ ((مطالبة المرأة (الرجعية) بارتداء الحجاب في القرن الواحد والعشرين، حيث تطور العالم، وبلغ في ابتكاراته العلمية الذروة، وتتطور المجتمع، وأصبح أكثر انفتاحاً ونضجاً؛ لهو دعوة صريحة إلى الانتكاس والعودة إلى القرون الوسطى؛ عصور الظلم!!!))

الجواب:

معنى كلمة رجعية؟

أولاً/ ما معنى كلمة ((رجعية)) التي صار يكررها مناهضو الإسلام، ويرمون بها من يدعون إلى الالتزام بأحكام القرآن والسنة، بكل حماسة؟  
كلمة ((رجعية)) هي تعريب للكلمة الإنجليزية ((reactionism)) والتي يقصد بها الدعوة إلى العودة إلى أي نظام أيديولوجي أو سياسي أو اجتماعي قديم. وقد ظهر هذا الاصطلاح إبان الثورة الفرنسية في وصف من كانوا ينادون بالعودة إلى النظام الملكي والإقطاعية، بعد إزالة الملك والإقطاعية من فرنسا ... ثم صار كل من يدعو إلى العودة إلى نظام أو منهج سابق موصوماً ((بالرجعية)) .. فهل ((الرجعية)) بمعناها الاصطلاحي مذمومة بإطلاق؟ إنَّ ولع التغريبيين بالاصطلاحات الغريبة دون النظر إلى خلفياتها التاريخية وبيئتها التي نشأت فيها؛ قد أحدث ليساً في الفهم وخللاً في الحكم على الواقع، قادهم إلى التناقض الفجُّ والتسطيح الساذج في قراءة الواقع والتعامل الوعي والإيجابي معه.

إنّ كلمة ((رجعية)) كحكم سلبي على موقف أو مذهب، تحمل في داخلها مخزوناً معرفياً متصلًا بحبل سُرّي بالثقافة السائدة في الفكر الغربي الراهن لكلّ ثابت إنساني حيث تتبدل القيم و (تطور) بتبدل الزمان!

إنّ إدانة ((الرجعية)) تعني إدانة كلّ حقيقة نازلة من السماء أو نابعة من اجتهاد بشري سليم، قُدر لها أن توجد في يوم من أيام (الماضي) .. ويترتب على ذلك القول إنّ كلّ القيم الجميلة التي تبنّاها أجدادنا، وكلّ الأفكار الرائعة التي نافحوا عنها؛ يجب تجاوزها لأنّها من الماضي.. فكلّ ((ماضٍ)) ، هو (فكرة مرفوض) لا يجوز (الرجوع) -أو (الدعوة إلى الرجوع)- إليه، دون النظر في حقيقة قيمته ومبلغ صوابه!

هذه هي حقيقة تهمة ((الرجعية)) وذاك أصلها في منتها الأولى.. فهل يقبل العاقل من صاحبها تهمته لصاحبة الحجاب؟!! وماذا لو أنزلنا حكم ((الرجعية)) على الواقع الغربي؟! ماذا ترى هذا المعترض يقول؟؟؟

سأضرب مثالين اثنين، أظنّ أنّهما يغيبان عن التفصيل!

**المثال الأول:** انتقلت الأسرة في الغرب في ظلّ الأنظمة ((رأسمالية المتوجّحة)) ((1)) ((capitalisme sauvage)) (من نموذج العائلة المتماسكة حيث يتقاسم الوالدان تربية الأبناء، ويربيانهم على مراعاة الأخلاق الفاضلة واحترام النظم العامة التي تخدم مصالح الشعب، إلى شكل الأسرة التي يعمل فيها كلّ من الآباء لتتحصيل أكبر مبلغ من المال دون الاهتمام بتنشئة الأبناء على القيم المحمودة؛ حتى أصبح الأبناء نهباً للفساد الإعلامي والجشع التجاري الذي يستثمر سذاجة النساء لتحقيق مبالغ هائلة من الأرباح..).

وقد نشأت اليوم تيارات في الغرب تدعوا إلى إصلاح الأنظمة الأسرية، وإعادة اللحمة القديمة التي كانت تربط أفرادها وتحكم علاقاتها، بتعزيز الارتباط بين الزوجين والأبناء، وحماية الأجيال الصاعدة من سموم الإعلام التجاري والقيم الهاشمة.. ولا شكّ أنّ هذا التيار يعتبر من ناحية الاصطلاح، تياراً (رجعياً)؛ لأنّه طبق التعريف السالف، يدعو إلى العودة إلى أنظمة اجتماعية قديمة.. فهل يستحقّ هؤلاء الداعون إلى العودة إلى النظام الأسري القديم الإدانة لمجرد

أنهم على مذهب (رجعي) ؟!! وهل كل دعوة للتغيير ومقارقة القديم هي دعوى محمودة؟ وهل كل دعوة للعودة إلى القديم هي دعوى مدانة مرذولة؟!!  
المثال الثاني: دعا الغرب في مؤتمر السكان في القاهرة، وفي غيره من المؤتمرات إلى تغيير ما سمّاه ((الشكل التقليدي للأسرة)) .. والمقصود بهذا الشكل التقليدي هو أن يكون الزواج قاصراً على طرفين: رجل وامرأة.. والشكل الحديث المطلوب، بل والذي تتبناه عامة المجتمعات رأة..!

وقد ظهر تيار غربي يدعى اليوم إلى المحافظة على الصورة التقليدية لشكل الأسرة الموافقة لأحكام الدين ونوساميس الطبيعة، لكنه قويٌّ بصدّ حاد وردٌ جافٌ من دعاه ما يسمى بـ(حقوق الشواد)، واتهام هذا التيار، بأنه تيار (رجعي) .. ولا شك أنّ وصفه (بالرجعية) هو وصف سليم منضبط؛ لأنَّه حسب تعريف ((الرجعية)), يُعد الداعي إلى كل نظام قديم، رجعياً!!  
فهل يصح القول إن منع الزواج بين الرجال فيما بينهم، أو بين النساء فيما بينهن، يعد فعلًا (ظلاميًّا) (ظالماً)؛ لأنَّه يرفض الواقع الجديد، ويدعو إلى نموذج أسري قديم؟!!

الإجابة على السؤالين السالفين، أَظَهَرَ من أن نفصلها، إِلَّا أن يكون المخالف لا يرى تربية الأبناء شيئاً جديراً بالاعتبار، ولا يجد حرجاً -أو ما دون ذلك- في زواج الرجل بالرجل والأنثى بالأنثى!!؟؟

إذن.. ((الرجعية)) ليست تهمة تخشاها صاحبة الحجاب؛ لأنَّ ((الرجعية)) قد تكون إيجابية أو سلبية، تبعاً لصلاح الأمر الذي يعمل المرأة على ((الرجوع)) إليه؛ فإذا كانت الرجعية هي العودة إلى الصالح من الأفكار والأفعال، فنعم الرجعية هي! وإذا كانت الرجعية هي العودة إلى القبح والمشين من الأفكار والأفعال، فبئس الرجعية هي!

إنَّ (الإنسان) هو (الإنسان) في علاقته ببيئته بما فيها من البشر وبقية الأحياء والأشياء، ولا تقاد تتغير فيه إِلَّا وسائل الإشباع، أمّا الحاجات الأساسية الكامنة فيه: كالأكل والشرب والزواج وطلب الأمان والسكنية والأنس؛ فهي نفسها في القديم والحديث، ولم يكدر يمسها تطور إِلَّا في وسائل التعامل معها لتحقيق الإشباع المطلوب.. إنَّ قيم الإنسان الجميلة التي تؤسس فيه حقيقة

انتماه للجنس الأدبي المكرّم، لا تَنْدِرُسُ لمجرّد تغيير الزمان وتبدل البلاد.. إنّ الإنسان قيمة ثابتة، لا تتغيّر منها إلّا الظواهر السطحية.. ولو فصلناه عن حقيقة الجمال الكامنة فيه لمجرّد أنها قديمة في ذاته وأصيلة في وعيه بنفسه؛ فلن تكون النتيجة غير تحويلي الإنسان إلى منتج صناعي هشّ بلا أصل له ممتد في تربة التاريخ، وإنّشاء حالة اغتراب لروحه في جنبات كيانه..

ثانياً/ يعيش الغرب اليوم من الناحيتين الفكرية والقيمية تحت سلطان فكر ((ما بعد الحداثة)) (Post-modernism) ، وهو الفكر الذي يضخّ في شرایین أنسجة البناء الأسري والمجتمعي الغربي المفاهيم والقناعات والتصورات.. ونظراً للطبيعة الإسفنجية الرخوة للعاليّين العرب؛ فإنّهم لا ينظرون بعين النقد إلى الأصل الرحّمي لمتبنيّات الغرب، وإنّما قد شغلهم النقل والنّسخ والتكرار الغرّ عن التدبّر والتفكير!

فما هو فكر ((ما بعد الحداثة)) الذي يعدّ مخالفه (رجعيًا)؟

((ما بعد الحداثة)) هو فكر ((اللافكر)) أي هو فكر لا يستمد وجوده من نفسه، وإنّما يعود في تشكييل ماهيّته إلى نفي غيره ((اللا))؛ فهو (ليس) غيره، أي ليس (الحداثة) ولا غيرها من المنظومات الكلية المعروفة.. هو فكر عاجز أن يثبت ذاته (من) ذاته! إنّه فلسفة الرفض والتّيه، وإنّماء كل الأنماط القديمة، وإلغاء (المركز) الذي يدور حوله الموجود الإنساني، وإلغاء فكرة الحقيقة المطلقة، وفاعلية العقل على إفراز مدركات يقينية.. إنّه المظهر الشمولي للعدمية (nihilism) !

يعتبر المنهج ((التّفكيري)) من أهم آلية التّفكير والتفسير في فكر ((ما بعد الحداثة)) ، وهو منهج ((يفكّك)) الإنسان إلى قطع من ((الأشياء)) و((النزعات)) لتشريحه وفهمه. وعملية التّفكير هذه هي جوهر ما يسمّى ((الاستنارة المظلمة)) أي رؤية الإنسان باعتباره كائناً طبيعياً تحرّكه غرائزه الوحشية المظلمة القابعة داخله، أو القوانين الآلية الموجودة خارجه ولا يمكنه تجاوزها.

(2)

لقد تحول (الإنسان) في النسقين الفكري والقيمي في زمن ((ما بعد الحداثة)) إلى (كائن سائل) فاقد للمعالم الثابتة التي تمنحه تفوقاً ( حقيقياً ) على (الحيوان) !

في ظلّ هذا التصور الهدمي (للإنسان المكرّم) ، تتشكل التصورات الغربية عن (المرأة) ، وهي تصورات ظاهرة الملامح في الدراسات السوسيولوجية والنفسية، وقد تُسمى فيها بمسيّاتها الحقيقية، إلّا أنّها مغيّبة الألوان في الخطاب الإعلامي العالمي الموجّه إلى الغربي العامي أو المصدر إلى العالم الإسلامي؛ ل بشاعتها وشناعة مالاتها .. ولعلنا نلخص ما يعنيها هنا، في نقاط سريعة تظهر معالم الكيان الأنثوي في زمن ((ما بعد الحداثة)) الذي يُعدّ (المواجه له) أو (المنتكس عنه)، (رجعيًا)، مقبوحاً (!):

**المرأة المثالية:** إن (المرأة المثالية) التي يدعو إليها التيار النسووي الغربي في زمن ((ما بعد الحداثة)) ، هي تلك التي حددت ((سيمون دو بوافار)) (Simone de Beauvoir) ملامحها في كتابها الذي يعدّ (دستور) الموجة الثانية للنسويات (4): ((الجنس الثاني)) (Le Deuxième Sexe) : إنّها المرأة التي ترفض أن تكون زوجة ((كائن طفيلي)) ، وتأبى أن تكون أمّا ((أمّة غير راضية)) ، وتأنف أن تكون لها علاقة حب مع رجل ((أمّة مذعورة)) (5) .. إنّها المرأة المستقلة بنفسها عن (الأسرة) و (الزوج) ، والمنخلعة من صميم (أنوثتها) !

**المرأة ك (شيء جنسي):** في إحصائية تمت سنة 1993م، أجاب 65% من المراهقين الأميركيّان أنّه يجوز أن يجبر الرجل المرأة على المواقعة الجنسيّة، بعد لقاءهما الأول بستة أشهر. وأجاب ربع المراهقين أنّه يجوز إجبار المرأة على المواقعة الجنسيّة، إذا كان الرجل قد أنفق عليها سابقاً من ماله! (6) لقد أضحت المرأة في واقع التوحّش الليبرالي في زمن ((ما بعد الحداثة)) أشبه (باللعبة الجنسيّة) ؛ فهي على الحقيقة لا المجاز توضع في (فترينات) في محلات الدعاارة في الغرب، ويتمهن جسدها على مدار اليوم في المجال البصري للرجل من خلال وسائل الإعلام والإشهار والترفيه؛ فكانت نهايتها أن تعامل من الرجل على أنّها لا تملك من جسدها شيئاً إذا ما رأى الرجل أنّه قد

صار له حق فيها لمجرد أنه التقى بها لمرات في مطعم، أو أنفق عليها دولارات معدودة!

**الأنثى في محرقة (الانفجار الجنسي)** : كشف رئيس التخطيط الأبوى لمدينة نيويورك سنة 1997م أنّ 75% من المراهقين الأمريكيان يمارسون الجنس قبل الانتهاء من سنوات التعليم في المدرسة الثانوية، وأنّ في مدينة نيويورك وحدها تحمل كل عام أكثر من 45 ألف فتاة في السنوات العمرية بين 15 و19 سنة. (7)

وفي دراسة أجريت سنة 1993م حول النساء اللواتي يدرسن في الجامعات الأمريكية، كشف الإحصاء أنّ 69,8% من الطالبات قد تعرضن (الإكراه لفظي) بالدعوة إلى (موقع جنسي لا يرغبن فيها) ! (8)

#### الإشارات المرجعية:

١. اصطلاح باللغة الفرنسية، وهو مفهوم طُوره عدد من علماء الاجتماع الفرنسيين لوصف واقع المنظومة الرأسمالية منذ العقد السابع من القرن العشرين، ونقدها.
٢. عبد الوهاب المسيري، العلمانية تحت المجهر، بيروت: دار الفكر، 2000م، ص 56
٣. سيمون دو بوفوار 1908-1986م: فيلسوفة وروائية فرنسية. عرفت بدعوتها الانقلابية إلى تغيير وضع المرأة.
٤. Second wave feminism: اصطلاح يطلق على التيار النسووي الذي ظهر في السبعينيات، وعرف بمتباينات فكرية ومطالب تختلف عن التيار الذي أسسته ((إليزابيث كادي ستنتن)) وبقيمة النسويات في القرن التاسع عشر.
٥. انظر؛ Simone de Beauvoir, The Second Sex, pp. 540, 733
٦. انظر؛ (Quoted by, Wendy Shalit, A Return to Modesty, p.40
- Wendy Shalit, A Return to Modesty, p. 40

٧. انظر المصدر السابق، ص 24

٨. انظر المصدر السابق، ص 29

المصدر:

سامي عامي، الحجاب شريعة الله في الإسلام واليهودية والنصرانية، ص 25

الكلمات المفتاحية:

#شبهات-حول-الحجاب

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.